إطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات

إعـداد

د. مشاعل بنت خالد باقاسي

إطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات

د. مشاعل بنت خالد باقاسي

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فلما كانت نازلة إطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات من النوازل التي تستدعي بحثاً وتوجب اهتماماً لأسباب منها:

أولاً: تعلق النازلة بالغيب.

إن هذه النازلة تضرب في أعماق الغيب فهي من القضايا المهمة المتعلقة بالغيب الذي جعل الله عز وجل الإيمان به هو أول صفات المؤمنين المتقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

والإيمان بالغيب هو الفيصل بين المؤمن والكافر فإن الإيمان مبني على أصول غيبية هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر جميعها مسائل غيبية علمناها وآمنا بها بمجرد الخبر الصادق ومن ثم الاستدلال العقلي على الغيب المعقول منها[2].

ثانياً: ظهور النازلة في زمن طغيان المادة.

ظهور هذه النازلة في زمن طغت فيه المادة على جانب الروح عند كثير من الناس حتى أنكروا ما بعد الموت وما يكون في دار البرزخ وفي الدار الآخرة[3].

ولعل أقوى أسباب هذا الإنكار هو الاعتماد على العقل وقياس الغائب على الشاهد والتحجر في مسألة اللامحسوس فكل ما يدرك بالحواس يمكن اعتقاده والإيمان

به، أما الخارج عن دائرة الإدراك الحسي فلا يمكن الإيمان به ولا تصديقه، هذا الذي أورد الناس المهالك قديماً وحديثاً.

ثالثاً: انتشار النازلة بين الناس.

انتشار قضية إطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات، وحضور بعض الأشخاص هذا الأمر، وسريان الخبر في الآفاق وتناول المتلقين لهذه القضية بالإنكار تارة وبالتأييد أخرى - مع ما في هذه الأخبار من غرائب وعجائب- يدفع كل طالب علم تبتع مثل هذه القضايا بموضوعية علمية، ومحاولة إظهار الحق في القضية، وإزالة ما قد يلتبس على المطلع على هذه النازلة من اشتباه الإطلاع على أحوال بعض الأموات بحالات الكشف التي يدعيها الصوفية والرافضة وغيرهم من الفرق المنحرفة.

رابعاً: أدلة النازلة.

ولما في ظاهر هذه الأدلة من إشعار التعارض مع بعض النصوص النافية لإطلاع الثقلين أو أحدهما على شيء من أحوال الموتى.

وقد أجريت الكلام فيما حررته مرتباً على نحو ما يأتي:

المقدمة: وفيها بينت أهمية الموضوع وخطة البحث.

تمهيد: تعريفات ووقفات.

مبحث: إطلاع من شاء الله من الأحياء على أحوال بعض الأموات. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مستند العلم بالغيبيات.

المطلب الثاني: أدلة النافيين لإطلاع من شاء الله من الأحياء على أحوال بعض الأموات.

المطلب الثالث: أدلة المثبتين لإطلاع من شاء الله من الأحياء على أحوال بعض الأموات.

المطلب الرابع: الترجيح.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ولا أزعم أني وفيت هذه النازلة حقها ومستحقها من البحث لا والله، ولكن أزعم أني اجتهدت وأرجو من الله أن لا يحرمني وإياكم الأجر، وأن يجعل عملي صالحاً ولوجهه خالصاً ولا يجعل لأحد منه شيء، وأن يعلمني ما ينفعني وينفعني بما علمني ويزيدني علماً هو ولي ذلك والقادر عليه وكفى بربك هادياً ونصيراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

تعريفات وَ وقفات

التعريف بالبرزخ:

والـبرزخ في اللغـة: هـو الحـاجز بـين شـيئين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ [٤]، أي حاجزاً[٥].

أما في الشرع فهو: الدار التي تعقب الموت إلى البعث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٦].

قال مجاهد رحمه الله: البرزخ الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا وعنه قال هو ما بين الموت إلى البعث[٧].

قال ابن القيم رحمه الله: "البرزخ: هو مـابين الـدنيا والآخـرة...، وهـذا الـبرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة...، وسمي عذاب القبر ونعيمـه وأنـه روضـة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق"[٨].

إذا أطلق البرزخ أريد به ما بعد الموت من القبر وفتنـة القـبر وعذابـه ونعيمـه؛ فكل من مات فقد دخل البرزخ.

القبر وضمته

التعريف بالقبر:

هو مدفن الإنسان، وهو حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه قبور[٩].

والحكمة من الدفن تتجلى في ما يلي:

١- أكرام الميت وصيانة حرمته. قال ابن السكيت[١٠]: "أقبره صير له قـبراً يـدفن فيـه.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾[١١]، أي جعله ممن يقبر، ولم يجعله يلقى للكـلاب، فالقبر مما أكرم به بنو آدم"[١٢].

٢- ستر الميت قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ ﴾[١٣]، والسوءة هنا قيل: هي العورة وإنما سميت سوءة لأنها تسوء الناظر إليها عادة، وقيل: هي البدن لأن بدن الميت يكون عورة، وقيل غير ذلك[١٤].

٣- حتى لا يؤذي الأحياء بجيفته فتتأذى الناس من رائحته، ويحصل من ذلك فساد عظيم[١٥].

التعريف بضمة القبر:

ضمة القبر المقصود بها التقاء جانبي القبر على جسد الميت، ويطلق عليها ضغطة القبر[١٦]، ولا ينجو أحد منها، كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر، لو كان أحد ناجياً منها؛ نجا سعد بن معاذ»[١٧].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فإن صح الحديث - حديث ضمة القبر لسعد بن معاذ- فالمعنى أنه أول ما دخل ضمه القبر ثم فسح له، وقد ذكر أن ضمة القبر للمؤمن كضمة الأم الرحيمة لولدها أي ليس ضماً يؤلم أو يؤذي، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من السعداء"[١٨].

فتنة القبر ونعيمه وعذابه

التعريف بفتنة القبر:

الفتنة تطلق على عدة معاني منها: الاختبار والابتلاء والامتحان[١٩]، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ ﴾[٢٠].

وتطلق على الإحراق والتعذيب بالنار[٢١]، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[٢٢].

وفتنة القبر: هي امتحان واختبار الملكين للميت حين يسألانه الأسئلة الثلاثة المعروفة عند صغار المسلمين قبل كبارهم - من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ [٢٣]. لكن السعيد من وفق للإجابة في ذلك الموقف الرهيب. عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [٢٤]» [٢٥].

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في خبر فتنة القبر، وهي فتنة الممات التي كان يستعيذ منها النبي ﷺ[٢٦] وهي عامة للمكلفين إلا النبيين[٢٧]، فقد اختلف فيهم[٢٨]، وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانيين[٢٩].

صفة فتنة القبر:

إذا دفن الميت في قبره؛ تعاد له الروح فيأتيه ملكان أسودان أزرقان شديدي الانتهار يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير. فيقعدانه ويسألانه، من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟.

فيوفق المؤمن للإجابة ويخذل الكافر والمنافق والمرتاب والعياذ بالله كما صح عن النبي ﷺ.

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا فقال: إن رسول الله ﷺ قال «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه». قال وقال رسول الله ﷺ «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه» [٣٠].

وقد جاءت صفة فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه في غير ما حديث بلغت في مجموعها حد التواتر، منها ما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهو حديث طويل،

عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير وفى يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر». مرتين أو ثلاثاً - زاد في حديث جرير ها هنا - وقال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك». قال هناد قال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول: ربى الله. فيقولان له: ما دينك فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم قال فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان: وما يدريك فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت». زاد في حديث جرير: «فذلك قول الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[٣١]». الآية. ثم اتفقا قال: «فينادى مناد من السماء: أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة وألبسوه من الجنة». قال: «فيأتيه من روحها وطيبها». قال: «ويفتح له فيها مد بصره». قال: «وإن الكافر». فذكر موته قال: «وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك فيقول: هاه هاه هاه لا أدرى. فيقولان له: ما دينك فيقول: هاه هاه لا أدرى. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادى مناد من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار». قال: «فيأتيه من حرها وسمومها». قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه». زاد في حديث جرير قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً». قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً». قال: «ثم تعاد فيه الروح»[٣٢]، وفي حديث قتادة عن أنس[٣٣]، وفي حديث أبي هريرة[٣٤] وغيرها.

هذه الأحاديث وما جاء بمعناها تدل على مسائل:

١- أن السؤال يحصل حين يوضع الميت في قبره وفي هذا رد على أهل البدع كأبي الهذيل والمريسي القائلين: إن السؤال يقع بين النفختين[٣٥].

٢- تسمية الملكين منكر ونكير، وفي هذا رد على من زعم من المعتزلة أنه لا يجوز تسميتهما بذلك[٣٦].

٣- أنها ترد روح الميت إليه في قبره حين السؤال، ويجلس ويستنطق وفي هذا رد على أبي محمد بن حزم حيث نفى ذلك[٣٧]؛ والجواب[٣٨] بأن المراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا؛ فإن عود الروح إلى بدن الميت ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه؛ كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة وإن كانت أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار والبرزخ والقيامة له حكم يخصه ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الميت يوسع له في قبره، ويسأل... ونحو ذلك وإن كان التراب قد لا يتغير؛ فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه[٣٩].

نعيم القبر وعذابه

هو اسم لنعيم البرزخ وعذابه وهو نتيجة لفتنة القبر فمن وفق للإجابة فكان من أهل السعادة ينعم في القبر - نسأل الله من فضله -، ومن لم يوفق فكان من أهل الشقاوة يعذب في القبر - نسأل الله السلامة-.

وإنما سمي عذاب القبر ونعيمه باعتبار الغالب والأصل، وإلا فإن عذاب القبر ونعيمه يصيب كل من مات سواءً قبر أو لم يقبر، كمن أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً أو صلب أو غرق في البحر أو غير ذلك، ومعلوم أنه لو دفن الرجل الصالح في أتون من نار لأصاب روحه وجسده من نعيم البرزخ ما كتبه الله له[٤٠].

وأهل السنة والجماعة خلفاً بعد سلف على أن عذاب القبر ونعيمه حق وهو عذاب البرزخ ونعيمه ويقطعون الطمع في إدراك الكيفية.

قال شارح الطحاوية رحمه الله: " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا"(٤١).

والله عز وجل جعل الدور ثلاثة وجعل لكل دار أحكام تخصها، فدار الدنيا جعل الله الأحكام فيها على الأبدان والأرواح تبع لها، ودار البرزخ جعل الله الأحكام فيها على الأرواح والأبدان تبع لها، ودار القرار الحكم فيها على الأرواح والأجساد جميعاً.

ومما تقدم نخلص إلى أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح والبدن جميعاً، تنعم الروح أو تعذب منفردة ومتصلة بالبدن. فقد يفنى البدن ويبلى وتبقى الروح منعمة أو معذبة(٤٢).

ونعيم القبر وعذابه ثابت في الكتاب والسنة(٤٣) وفي أقوال الأئمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾(٤٤).

قال ابن جريج في تفسير قوله تعالى: سنعذبهم مرتين قال: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب النار.

وقال الحسن البصري: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

وقال مجاهد: الأول: القتل والسبي، والثاني: عذاب القبر(٤٥).

وقال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾(٤٦).

" قال قتادة في قوله تعالى: غدوا وعشيا: صباحاً و مساءً، ما بقيت الدنيا... "(٤٧).

و" قال ابن زيد: هم فيها اليوم، يغدي بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة "(٤٨).

قال ابن كثير(٤٩): "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"(٥٠).

وقفـــات

الوقفة الأولى مكان أرواح الأموات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾ ، ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾(٥١).

إن كتاب الفجار لفي سجين أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين، فعيل من السجن وهو الضيق، ولهذا عظم أمره فقال تعالى: وما أدراك ما سجين أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم.

ثم قال إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين... وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين يعني الجنة(٥٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "إن أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة، فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف، ويدل عليه قول النبي ﷺ عند موته: «اللهم الرفيق الأعلى» (٥٣)(٥٤). وقد تقدم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي فيه دليل على الذي ذكرناه.

الوقفة الثانية الدلالة العقلية على وقوع عذاب القبر ونعيمه:

"وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجا في الدنيا من حال النائم فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجرى على روحه أصلا والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهدا فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ بل أعظم فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرا باديا أصلا.

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه.

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه وليس عند أحدهما خبر عند الآخر فأمر البرزخ أعجب من ذلك"[٥٥].

الوقفة الثالثة شبه المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليهم:

أنكر عذاب القبر ونعيمه الملاحدة والزنادقة ومن تبعهم من أهل الكلام كالمعتزلة تعلقوا بشبه عقلية، حكّموا فيها عقولهم وقاسوا فيها الغائب على الشاهد وتركوا النصوص وراءهم ظهريا، فقاسوا أحوال الآخرة على أحوال الدنيا[٥٦].

١- فقالوا: إننا نكشف القبر، فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات، ولا ثعابين، ولا نيراناً تتأجج، ولو كشفناه في حالة من الأحوال، لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق، وعلى صدره

الخردل لوجدناه على حاله، وكيف يفسح مد بصره، أو يضيق عليه، ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرنا، فلم يزد ولم ينقص، وكيف يتسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة؟ والصورة التي تؤنسه، أو توحشه[٥٧]؟

٢- الشبهة الثانية: قالوا: ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يسأل، ولا يجيب، ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارا، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان، ومدارج الرياح، كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟ وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة؟ أو حفرة من حفر النار؟ وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه[٥٨].

والجواب عن هذه الشبه من وجوه:

أولا: أن الرسل لم يخبروا بما تحيله العقول، وتقطع باستحالته، ولكن الرسل يخبرون بما تحار به العقول، فإن أخبارهم قسمان: أحدها: ما تشهد به العقول والفطر، والثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها، عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثانياً: أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فسوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، لاسيما إن أضيف إليه سوء القصد.

ثالثاً: أن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن، ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على

الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم الحشر وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا.

رابعاً: أن الله سبحانه وتعالى جعل أمر الآخرة، وما كان متصلا بها غيبا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته؛ وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

خامساً: أن النار التي في القبر والخضرة، ليست من نار الدنيا، ولا من زرع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها، وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحس به أهل الدنيا، فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته، حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره، وذلك الثاني في روضة من رياض الجنة، لا يصل روحها، ونعيمها إلى جاره. فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانا لمن شاء الله أن يريه ذلك" [٥٩].

ومنها ما جاء في صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد" [٦٠]

سادساً: أن عناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها، يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصي منها شيء أراده، بل هي طوع أمره، ومشيئته منقادة لقدرته؛ فغير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق، ونحن لا نشعر بها؛ لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود؛ فهذا المغمى عليه والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا تشعر بحياتهم، ومن تفرقت أجزاءه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى

أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة. فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكاً، فالأجسام التي كانت فيها الأرواح والحياة أولى بذلك[٦١].

سابعاً: أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أبلغ من ذلك، فقد أرانا الله فيها من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله عز وجل وعصمه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٦٢] من ذلك:

أولاً: جبريل - عليه الصلاة والسلام- كان ينزل على النبي ﷺ ويتمثل له رجلا، ويكلمه بكلام يسمعه، ومن إلى جانب النبي ﷺ لا يراه، ولا يسمعه، وكذلك غيره من الأنبياء.

ثانياً: الجن موجودون، ولا نراهم، ويتحدثون، ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا، ونحن لا نسمعهم.

ثالثاً: الملائكة تضرب الكفار بالسياط، وتضرب رقابهم، وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يرونهم، ولا يسمعون كلامهم، في غزوة بدر وغيرها [٦٣].

رابعاً: النخل والحنظل كل منهما يشرب من ماء واحد، ويختلف الطلع، كذلك -أيضا- مما وقع في العصر الحاضر الكهرباء، تكهرب من على الأرض، ولا تكهرب من على الخشب، فهذه كلها أمور أراد الله إياها في الدنيا.

ثامناً: أن هذه الشبه مبنية على قياس الفارق، وهو قياس الغائب على الشاهد، وقياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا ليس بصحيح، وهو خوض في أمر الغيب، فأحوال الآخرة مجهولة لنا، وأحوال الدنيا معلومة لنا، فكيف يقاس مجهول

على معلوم؟ وكيف يقاس الغائب على الشاهد؟ فإن الله لا يقاس بخلقه، وسر المسألة أن هذه السعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار، التي في القبر ليست من جنس المعهود في هذا العالم، وعود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير المألوفة في الدنيا، والله – سبحانه وتعالى- إنما أشهد بني آدم ما كان فيها، ومنها فأما ما كان من أمر الآخرة، فقد أسبل عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء، صار عيانا مشاهداً.

طعن المعتزلة في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، حيث زعموا أنه لا يحتج به في مسألة؛ لأنه من خبر الآحاد.

ويجاب عن طعن المعتزلة في حديث البراء، بأنه يقال بأنه، وإن كان آحادا، فله شواهد يرتقي بها، ويقال: إن الأخبار تواترت معنى لا لفظا عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر، ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وتفيد اليقين، فتصلح للاحتجاج بها في العقائد، بل إنه إذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ فإنه يحتج به في العقائد وغيرها، ولو كان خبر آحاد، وتقسيم الأخبار إلى قسمين: خبر آحاد، لا يحتج به في العقائد، وخبر متواتر يحتج به في العقائد هذا إنما ابتدعه أهل البدع من المعتزلة وغيرهم(٦٤).

الوقفة الرابعة الحكمة من جعل عذاب القبر ونعيمه من أمور الغيب:

١. أن الإنسان إذا أطلع على عذاب القبر تنكد عيشه فلا يخلوا إما أن يكون المعذب أباه أو أمه أو أخاه أو أبنه أو زوجه أو أي قريب له. وعندها يرى عذابه ولا يقوى فكاكه فيشق عليه الدفن لما قد يتوهم أن العذاب مقرون بالقبر.

٢. أن فيه فضيحة للميت بعد أن ستر الله عليه.

٣. إن في إظهار عذاب القبر نفياً للحكمة المرجوة من الإيمان به؛ لأنه يكون مشاهداً لا يمكن إنكاره مما يحمل الناس جميعهم على الإيمان به(٦٥).

مبحث: اطلاع من شاء الله من الأحياء على أحوال بعض الأموات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مستند الإيمان بالغيب.

المطلب الثاني: أدلة النافيين لإطلاع من شاء الله من لأحياء على أحوال بعض الأموات.

المطلب الثالث: أدلة المثبتين لإطلاع من شاء الله من لأحياء على أحوال بعض الأموات.

المطلب الرابع: الترجيح.

المطلب الأول: مستند الإيمان بالغيب.

إن الإيمان بالغيب هو التصديق الجازم بالقلب والعمل بالجوارح والقول باللسان بكل موجود غاب عنا ولم تدركه الحواس وإن أمكن أن تدركه في بعض الأحوال(٦٦).

ولقد فسر الصحابة الكرام رضي الله عنهم وغيرهم من السلف قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾(٦٧)، أنها تعني كل أمور الإيمان وكل أمور الغيب(٦٨).

قال أبو إسحاق: في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾، أي يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ، من أمر البعث والجنة والنار، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب(٦٩).

والإيمان بالغيب هو اكبر مسائل الاعتقاد على الإطلاق فهو شامل لكل ما جاء في الكتاب العظيم، وصح به الخبر عن رسول الله ﷺ، من الإيمان بالله عز وجل والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ومقدماته وما فيه ومتعلقاته من أشراط الساعة وعذاب البرزخ ونعيمه والبعث والنشور والحساب والجنة والنار وغيرها؛ والإيمان بالقدر خيره وشره، وبقدر تفاوت الناس في الإيمان بالغيب يكون تفاوتهم في الإيمان عامة، وتكون منازلهم عند الله تبارك وتعالى ومن ثم مراتبهم في الجنة.

وهو الفارق بين المؤمن والكافر، بل هو في الحقيقة الفارق بين الإنسان والأنعام، والمسلمون قاطبة على أن الإيمان بالغيب هو أكبر حقيقة يعيشها الإنسان ويموت عليها إن شاء الله، وهو أكبر قضايا العمل، إذ الإيمان بالغيب يشمل أعمال الجوارح كما يشمل أعمال القلوب، وعليه فمجرد الإقرار الذهني لا يكفي؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يؤمنون بشيء من الغيب، مثل وجود الله ويوم الحساب ظهر ذلك في بعض أشعارهم وأقوالهم[٧٠]، لكن هذا الإيمان كان مجرد إقرار قلبي فقط فلم يؤمنوا بالوحي ولا بالرسول، فما نفعهم ذلك الإقرار.

ولا أعلم خلافاً بين أهل السنة والجماعة في أن المغيبات تعلم من طريق الخبر الصادق سواءً كان نصاً من القرآن أو حديثاً من السنة الصحيحة. وعليه فموقف أهل السنة والجماعة خلفاً بعد سلف، الإيمان بكل ما جاء عن الله وصح عن رسول الله ﷺ إيماناً جازماً. وإن لم يشاهدوه، ولم تدركه عقولهم، يكذبون حواسهم ويؤمنون بالله عز وجل[٧١]، ويقطعون الطمع في إدراك الكيفية ويسلموا تسليماً يليق بالإسلام الذي هو الاستسلام لله تعالى بالقلوب، والعقول، والجوارح وإتباع الرسول الله ﷺ.

ولقد قسم العلماء الغيب من حيث إمكان الاستدلال العقلي عليه إلى قسمين:

- ما يمكن الاستدلال على وجوده بالعقل مع دلالة الوحي؛ وهو الغيب المعقول مثل: الإيمان بالله تبارك وتعالى.
- ما لا يمكن الاستدلال على وجوده؛ وهو الغيب المحض لتوقف العلم به على دلالة الوحي أو الخبر الصادق فقط. مثل: بعض صفات الله تبارك وتعالى كالإستواء، والنزول ونحوها

ومما ينبغي التنبه له أن الدلالة على الغيب المعقول لا يمكن أن تتحقق بحدس عقلي مباشر وذلك أنه في الاستدلال للغيب المعقول لابد من مستند يكون واسطة بين الحكم بالضرورة العقلية والغيب المعقول بحيث تقف الدلالة العقلية كاشفة لمعقولية الغيب لا مؤسسة لها، وذلك إنما يتم بإدراك العلاقة الضرورية بين الواسطة التي هي آثر محسوس وبين لازمها الغيبي، وهي علاقة السببية الضرورية بين الأثر المحسوس الذي هو المسبب وبين لازمه السببي الذي هو الحقيقة الغيبية (٧٢).

أما الغيب المحض فليس بينه وبين العقل واسطة يمكن الاستدلال بها عليه وإنما يعلم وجوده بالوحي أو الخبر الصادق.

وخالف في ذلك الزنادقة والفلاسفة عموماً فهم ينكرون الغيبيات إنكاراً باتاً وتبعهم بعض المعتزلة والروافض وبعض المرجئة وبعض الأشعرية والخوارج والكرامية ومن ضل من هذه الفرق ينكرون بعض الغيبيات تبعاً للفلاسفة والمعتزلة، ويقولون العقل لا يثبت ذلك(٧٣).

ومعلوم أن أبواب العقيدة عند أهل الكلام تنقسم إلى قسمين:

الأول: العقليات، وهي مباحث الإلهيات والصفات وما أشبه ذلك، يبحثها العقل ويثبتها ويدركها.

الثاني: السمعيات، هي النقليات، وهي الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وما ثبت بالخبر، أي بالدليل السمعي، والعقل عندهم لا ينفيها.

فباب الغيبيات هو من السمعيات، والعقل عندهم لا يثبته ولا ينفيه، بخلاف الكلام والرؤية وأمثالها فإنهم يقولون إنها تثبت بالعقل، ومذهبهم أن ما وافق العقل قبلوه وما خالف العقل ردوه، فالدليل السمعي يُعرض على العقل أولاً، ويُرى هل يخالف البراهين أو القواطع العقلية، فإذا ثبتت سلامته من المعارضة العقلية أو نحو ذلك عندها يؤمنون به. وإلا يردونه، مثل قولهم: العقل لا يثبت عذاب القبر، إذ من الأموات من لم يُقبر بل أكلته السباع أو غرق في البحر، ونحو ذلك من الشبه فينكرون عذاب القبر وينكرون السمعيات(٧٤).

وهذا الموقف وقفه الماديون قديماً وحديثاً(٧٥)، حين أقحموا عقولهم فيما ليس لها، ورجعوا بما ذهبوا به، ولم يطمئنوا ويسعدوا بما سعد به أهل السنة والجماعة ابتداءً من التسليم والإيمان بما أخبر الله به ورسوله ﷺ وتقديم ماحقه التقديم وهو النقل الصحيح؛ وتأخير ماحقه التأخير؛ وهو العقل الصريح.

ولهم فيمن مضى معتبر، فهؤلاء بنو إسرائيل استندوا إلى المعاندة والجحود في سبيل إدراك الغيبيات وأرادوا إخضاع الغيب المحض للعقول التي لا تدرك إلا المحسوس المادي المشاهد، فكانت النتيجة أن أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(٧٦)، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يعتبرون.

وما حضارة الفكر الغربي عنا ببعيد. فقد اعتمدوا في إنشاء حضارتهم على العلم التجريبي الذي يقدس العقل، ويعتمد على الحس والمشاهدة والتجربة والاستنتاج؛ وإقصائهم الغيب(٧٧)، وتوجيه الناس إلى الإيمان بالمحسوسات المجردة –

التي تفيد العلم اليقيني كما يزعمون – إلا أنهم وقفوا أمام هـذا البـاب العظـيم وهـو باب الغيب، فإن أمنوا بالغيب فتح لهم باباً إلى اليقين، وإن جحدوا فإن الباب موصد، وسيرجع الحس إليهم خاسئاً وهو حسير وعندها يظـل العقـل في حـيرة لا تنتهـي إلا بالإيمان والتسليم بالغيب وقطع الطمع عن إدراك الكنه، وذلك بتقديم النقل الصحيح على العقل الصريح. فمن لم يعرف الخالق الباري المحي المميت وهـو أعـرف المعـارف والغني عن التعريف سبحانه وتعـالى فمـاذا عـرف؟! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (٧٨).

حتى في أمور الحياة الدنيا لا يعلمون إلا ظاهراً منها، وصدق من قال "وليست ضرورة التسليم بالحقائق الغيبية محصورة في العقائد الدينية وخاصةً ما يتعلق بوجود الله كما قد يظن، بل هي ضرورة في كل معرفة يتحقق فيها التلازم بين أي ظاهرة محسوسة وسببها الغيبي"(٧٩).

فهؤلا المفكرون عندما أرادوا إقحام عقولهم في حقائق الأشياء وكنهها صعدوا إلى السماء وتاهوا في الفضاء بين الأجرام ووجدوا دون مرادهم باب الغيب، ودخلوا إلى أعماق الذرة الصغيرة فتاهوا في أعماقها ووجدوا باب الغيب لهم بالمرصاد، مما أدى بهم إلى الاتفاق على أمر إن - اتفقوا عليه – وهو أنه لا يصح من أي عالِم في أي فن أن يصدر حكماً مطلقاً. ويقول: الحق كذا... هذه نهاية العلم التجريبي(٨٠).

"ولذا فإن العلم الحديث لا يمكن أن يقوم على مجرد ملاحظة الظواهر المحسوسة، بل لابد مع ذلك من التسليم بحقائق غيبية تكتشف بدلالة العقل عليها وفق مبدأ السببية وقانون الاضطراد الذي يقتضي أن يكون تكرار بعض الظواهر المحسوسة تابعاً لأسباب محددة وإن لم تكن محسوسة"(٨١).

وهذا الواقع ولا مجال فيه للشك فإن الماديين بصورة عامة لم يوظفوا لعقل بفاعلية إيجابية، وإنما صادموا اللامعقول بالعقل فكانت النتيجة اللامعروف. والأمثلة على ذلك كثيرة منها: الكهرباء يؤمنون بها لوجود آثارها ولكن لا يعلمون ما هي، كذلك الجاذبية وغيرها.

وإذا قيل لهم أنتم تؤمنون بالغيب؟! يقولون أنهم لا يؤمنون بالغيب الخرافي كما يزعمون وهو الذي يخبر عن الله عز وجل وقدرته وآثاره سبحانه وتعالى ونحو ذلك ولكنهم يؤمنون بغيب جديد هو الغيب العلمي كما يسمونه (٨٢).

وقد رد شيخ الإسلام رحمه الله على من قدم العقل وجعله حاكماً بما ملخصه: أن في إرجاع الأمور إلى العقل أمر غير منضبط، فما يقبله عقل زيد قد لا يسلم به ولا يقبله عقل عمرُ. إذاً فتحكيم العقول أمر غير منضبط ويستلزم لوازم باطلة، منها الاستغناء عن الرسل والأنبياء(٨٣).

المطلب الثاني: أدلة النافين لإطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات

استدل النافون لإطلاع بعض الأحياء على حال بعض الأموات بعدة أدلة منها:

الدليل الأول:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق»(٨٤).

قال ابن حجر رحمه الله: "لصعق أي لغشي عليه من شدة ما يسمعه، وربما أطلق ذلك على الموت"(٨٥). وفي الحديث استثناء للإنس عن السماع دون الجن وبقية المخلوقات.

"قال المهلب: الحكمة في أن الله يسمع الجن قول الميت قدموني ولا يسمعهم صوته إذا عذب بأن كلامه قبل الدفن متعلق بأحكام الدنيا وصوته إذا عذب في القبر متعلق بأحكام الآخرة"(٨٦)

الدليل الثاني:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»(٨٧).

ورد في معنى (من يليه) أنهم الملائكة الذين يلون فتنته قاله المهلب وتعقبه ابن حجر بقوله: "ولا وجه بتخصيصه بالملائكة فقد ثبت أن البهائم تسمعه"(٨٨).

والمعنى المراد أن هذا الصوت يسمعه كل دابة ما عدا الجن والإنس.

الدليل الثالث:

عن أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت قال: قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي ﷺ، ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال: «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة – قال: كذا كان يقول الجريري – فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟»، فقال رجل: أنا. قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في

قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار»، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.» [٨٩].

ولأهل العلم في قوله: (فلولا أن لا تدافنوا) قولان:

الأول: أن (لا) أصلية وهي حرف نفي، والمعنى: أي لو لا خوف ترك التدافن من خوف أن يصيبكم من العذاب ما أصاب الميت قبلكم لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر.

"فكيف يستنكر من يعرف الله عز وجل ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثيراً ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمناً وبعضهم كُشِف قناع قلبه فمات؛ فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً"[٩٠].

وذكر المناوي قولاً أبعد من ذلك قال: " وقيل أراد لأسمعتكم عذاب القبر أي صوته ليزول عنكم استعظامه واستبعاده وهم وإن لم يستبعدوا جميع ما جاء به كنزول الملك وغيره من الأمور المغيبة لكنه أراد أن يتمكن خبره من قلوبهم تمكن عيان وليس معناه أنهم لو سمعوا ذلك تركوا التدافن لئلا يصيب موتاهم العذاب كما قيل لأن المخاطبين وهم الصحب عالمون بأن العذاب أي عذاب الله لا يرد بحيلة فمن شاء

تعذيبه عذبه ولو ببطن حوت بل معناه لو سمعوا عذابه تركوا دفن الميت استهانة به أو لعجزهم عنه لدهشهم وحيرتهم أو لفزعهم وعدم قدرتهم على إقباره أو لئلا يحكموا على كل من اطلعوا على تعذيبه في قبره بأنه من أهل النار فيتركوا الترحم عليه وترجي العفو له وإنما أحب إسماعهم عذاب القبر دون غيره من الأهوال لأنه أول المنازل"[٩١].

الثاني: أن (لا) هنا زائدة ويؤيده رواية أحمد (لو لا أن تدافنوا) بإسقاط (لا) أي لو لا أن تموتوا من سماعه لأن القلوب لا تطيق سماعه فيصعق الإنسان لوقته ويدل عليه حديث كلام الميت على الجنازة، وفيه أن الإنسان لو سمع صوت الميت لصعق[٩٢].

الدليل الرابع:

عن عائشة قالت دخلت علي عجوزين من عجز يهود المدينة فقالتا لي إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل علي النبي ﷺ فقلت له يا رسول الله إن عجوزين وذكرت له فقال صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر[٩٣].

وفي الحديث إثبات لعذاب القبر وأن البهائم تسمعه دون غيرها من المخلوقات.

فكل من نفى إطلاع بعض الأحياء على أحوال بعض الموتى احتج بالأحاديث الآنفة الذكر وغيرها مما تركته خشية الإطالة. ومنهم:

الإمام القرطبي رحمه الله حيث عقد فصلاً قال فيه:

"قال علماؤنا رحمة الله عليهم: و إنما حادت البغلة لما سمعت من صوت المعذبين و إنما لم يسمعه من يعقل من الجن و الإنس لقوله عليه الصلاة و السلام: «لولا أن لا تدافنوا» الحديث، فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر على القرب من القبر للدفن، ويهلك الحي عند سماعه إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار؛

لضعف هذه القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الـزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟ وأين صعقة الرعـد مـن صـيحة الـذي تضـربه الملائكـة بمطارق الحديد التي يسمعها كل من يليـه؟ و قـد قـال ﷺ في الجنـازة: «و لـو سمعهـا انسان لصعق».

قلت: هذا و هو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان، فكيف إذا حل به الخزي و النكال، و اشتد عليه العذاب والوبال؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته و عفوه و رحمته بمنه وكرمه"[٩٤].

والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، إذ سئل:

هل يصح سماع بعض الناس اليوم أصوات الموتى في قبورهم؟

فأجاب رحمه الله:

أنه قد "ثبت في الأحاديث أن المعذبين في قبورهم يصـرخون ويصـيحون ولكـن الله جل وعلا حجب هذا الصوت عن الجـن والإنـس ويسـمعه الحيوانـات والبهـائم وغيرهم. وصح أن النبي ﷺ خص بسماع صراخ بعض المعذبين في قبورهم".

واستشهد رحمه الله بحـديث الـنبي ﷺ المـذكور أعـلاه مـن حـديث أبـي سـعيد الخدري في مسلم: «فلو لا أن لا تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب أهل القبور ما أسمع» وغيره من حديث أنس عند البخاري عن النبي ﷺ «وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقـال: لا دريـت ولا تليـت ثـم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الـثقلين» والثقلان: الجن والإنس.

قال رحمه الله: "فثبت بهذا أن الإنس والجن لا يسمعون صراخ الموتى في قبورهم فمن زعم ذلك فقوله مردود عليه والله أعلم" [٩٥].

المطلب الثالث: أدلة المثبتين لإطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات

استدل المثبتون لإطلاع من شاء الله من الأحياء على حال بعض الأموات بأدلة(٩٦) منها:

الدليل الأول:

عن أنس قال بينما نبي الله ﷺ في نخل لنا لأبى طلحة يتبرز لحاجته - قال - وبلال يمشى وراءه يكرم نبي الله ﷺ أن يمشى إلى جنبه فمر نبي الله ﷺ بقبر فقام حتى تم إليه بلال فقال «ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع». قال ما أسمع شيئا. قال «صاحب القبر يعذب». قال فسئل عنه فوجد يهوديا(٩٧).

وسؤال النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه السماع، يدل على إمكانيته إذ لو كان مستحيلاً لم تكن هناك فائدة من السؤال. والله أعلم.

ولقد وقفت على روايات فيها خبر من أطلعه الله عز وجل على أحوال بعض الأموات مما يصلح الاستشهاد به منها:

الدليل الثاني:

وعن العوام بن حوشب رضي الله عنه قال نزلت مرة حيا وإلى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس الحمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة ترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هذا قلت وما كان قصته قالت كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه يا بني اتق الله إلى متى تشرب هذه الخمر فيقول لها إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر(٩٨).

الدليل الثالث:

حدثني محمد ثنا يزيد بن هارون ثنا هشام بن حسان عن واصل مولى أبي عيينة عن عمرو عن عبد الحميد بن محمود المعولي قال كنت جالسا عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا إنا خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذا الصفاح فمات فهيأناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبرا ولحدنا له فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وحفرنا له مكانا آخر؛ فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود(٩٩) قد ملأ اللحد فتركناه، وأتيناك فقال ابن عباس: ذلك الغل الذي تغل به انطلقوا فادفنوه في بعضها فوالذي نفسي بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها فانطلقنا فدفناه فلما رجعنا أتينا أهله بمتيع كان له معنا فقلنا لامرأته ما كان عمل زوجك فقالت كان يبيع الطعام فيأخذ كل يوم منه قوت أهله ثم يقرض القصب مثله فيلقيه فيه(١٠٠).

الدليل الرابع:

عن يزيد بن المهلب يقول لما ولي سليمان بن عبد الملك فاستعملني على العراق وخراسان فودعني عمر بن عبد العزيز وقال: يا يزيد اتق الله فإني حين وضعت الوليد في لحده إذا هو يرتكض في أكفانه(١٠١).

الدليل الخامس:

عن عبد الله بن عبيدالله الانصاري قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس اصيب يوم اليمامة فلما ادخلناه قبره سمعناه يقول: محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان لين رحيم، فنظرنا إليه فإذا هو ميت(١٠٢).

الدليل السادس:

عن هشام بن عروة عن أبيه لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنائه، فبدت لهم قدم ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا

أحدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة لا والله ما هي قدم النبي ﷺ ما هي إلا قدم عمر رضي الله عنه[١٠٣].

الدليل السابع:

أخرج ابن أبي الدنيا من طريق العلاء بن عبد الكريم قال مات رجل وكان له أخ ضعيف البصر قال: أخوه فدفناه، فلما انصرف الناس وضعت رأسي على القبر فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول من ربك؟! فسمعت صوت أخي، وعرفته وعرفت صفته، فقال: الله ربي، ومحمد نبيي، ثم ارتفع شبه سهم من داخل القبر إلى أذني فاقشعر جلدي، وانصرفت[١٠٤].

الدليل الثامن:

عن الربيع بن سعد الجعفي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: " حدثوا عن بني إسرائيل، فإنه كانت فيهم الأعاجيب ". ثم أنشأ يحدث قال: " خرجت رفقة مرة يسيرون في الأرض فمروا بمقبرة، فقال بعضهم لبعض: لو صلينا ركعتين، ثم دعونا الله عز وجل لعله يخرج لنا بعض أهل هذه المقبرة فيخبرنا عن الموت، قال: فصلوا. ركعتين ثم دعوا الله فإذا هم برجل خلاسي، قد خرج من قبره ينفض رأسه، بين عينيه السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلى هذا؟ لقد مت منذ مائة سنة، فما سكنت عني حرارة الموت إلى ساعتي هذه، فادعوا الله عز وجل لي يعيدني كما كنت "[١٠٥].

الدليل التاسع:

" وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك يقول: إنه أقام أياماً فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر

عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا اخذ بعضده قال أرسلوني فقد ضعفت فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى ثم سال منه عرق كثير وكان قد قال لنا كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة قال ففعلنا فلما ادرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا"[(١٠٦)].

المطلب الرابع: الترجيح.

بعد الإطلاع على أدلة النافيين والمثبتين لإطلاع بعض الأحياء على أحوال بعض الأموات يتبين لنا كثرة أدلة المتثبتين واستفاضتها، مع اقتصاري على البعض دون البعض الآخر إضافة إلى أني استثنيت من الروايات الرؤى المنامية، فلو ذكرتها مع أدلة المثبتين لطال بنا المقام.

والحق أنه يمكن أن يطلع الله سبحانه وتعالى من أراد من عباده على أحوال بعض الأموات سواءً في حال العذاب أو في حال النعيم وعلى هذا جمهرة من العلماء الثقات الأثبات الذين لا نعلم فيهم مطعن. والمسلك الذي سأسلكه هو مسلك الجمع بين الأدلة وإعمالها كلها ولا شك أن ذلك أولى من إهمال شيء منها إذا كان ذلك ممكن، وسأسوق الآن أقوال ثلة من العلماء استشهدوا في مصنفاتهم بأدلة النافين وهم على مذهب المثبتين والله المستعان:

قول البيهقي رحمه الله:

"وفي كل ذلك دلالة لمن آمن بالله ورسوله محمد ﷺ على جواز تعذيب من انتقضت بنيته في رؤيتنا أو صار رميما في أعيننا عذابا يسمعه من أراد الله سبحانه أن يسمعه دون من لم يرده، ويشاهده من أراد الله تعالى أن يشاهده دون من لم يرد"[(١٠٧)].

قول ابن تيمية رحمه الله:

"وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بدنه أيضا إذا قوي الأمر؛ لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت؛ كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم بل هو بحسب قوة الأمر. وقد عُرف أن أبداناً كثيرة لا يأكلها التراب كأبدان الأنبياء وغير الأنبياء من الصديقين وشهداء أحد وغير شهداء أحد والأخبار بذلك متواترة"[(١٠٨)].

"وما ذكرنا في أن الموتى يسمعون الخطاب ويصل إليهم الثواب ويعذبون بالنياحة بل وما لم يسأل عنه السائل من عقابهم في قبورهم وغير ذلك فقد يُكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناما، ويعلمون ذلك ويتحققونه وعندنا من ذلك أمور كثيرة"[(١٠٩)].

قول ابن القيم رحمه الله:

"وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما إلا من وفقه الله وعصمه. فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره إذ لو اطلع عليه العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»[(١١٠)].

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره"[(١١١)].

قول ابن أبي العز رحمه الله:

"وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير. وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس"[١١٢].

قول ابن رجب رحمه الله:

"وقد أطلع الله من شاء من عباده على كثير مما ورد في هذه الأحاديث حتى سمعوه وشاهدوه عيانا"[١١٣].

قول ابن حجر رحمه الله:

"والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك، وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت؛ إلا من شاء الله"[١١٤].

مسلك الجمع بين الروايات

ويمكن فهم أدلة النفي بما يتلاءم مع أدلة الإثبات على هذا النحو:

١- أن النفي في رواية أبي سعيد الخدري ﵁ حديث كلام الميت على الجنازة، إنما هو خاص بهذه الحالة على وجه التحديد، أي أن كلام الميت على الجنازة تحديداً لا يمكن سماعه من الإنسان ولو سمعه الإنسان لصعق. وكذلك حديث أنس رضي الله عنه باب ما جاء في عذاب القبر، فالنفي فيه منصب على حالة مخصوصة، وهي حالة المنافق أو الكافر حين يضرب بمطارق من حديد فيصيح، ويؤيد ذلك حديث أنس في البخاري والذي فيه سؤال النبي ﷺ لبلال ﵁ عن ما إذا كان قد سمع صوت المعذبين أم لا؟ فلو كان مستحيلاً لم تكن هناك فائدة من السؤال،

ولم يكن ليسأل الرسول ﷺ عن إمكانية وقوع أمر ممتنع شرعاً أو عقلاً. فدل ذلك على إمكان السماع. والله أعلم.

٢- لو حملنا النفي الوارد في أدلة النافين على العموم، فإن المنفي هو السماع دون الرؤية وغيرها.

٣- أن الأحاديث لم تصرح بالنفي الجازم لإطلاع الأحياء على أحوال الأموات.

٤- أن الحوادث التي ذكرها المثبتين والتي فيها إطلاع على أحوال بعض الأموات، إنما هي حالات فردية تتعلق بمن رآها أو سمعها، وليست ظاهرة أو قضية عامة.

٥- يمكن أن نقول أن النفي وعدم السماع إنما هو مختص بحال العذاب، أما حال النعيم فلم يشمله النفي إلا في حديث كلام الميت على الجنازة.

٦- أن الله عز وجل أطلع الجمع الغفير من الصحابة والتابعين على حال شهداء أحد وذلك في رواية جابر «عن أبي الزبير عن سمعت جابر بن عبد الله يقول: كتب معاوية إلى عاملة بالمدينة أن يجري عينا إلى أحد فكتب إليه عامله أنها لا تجري إلا على قبور الشهداء فكتب إليه أن أنفذها قال: سمعت جابراً يقول فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما»(١١٥). وفي رواية «فأخرجهم رطاباً يتثنون حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما»(١١٦).

٧- أن أهل العلم لم يفهموا تعارضاً بين الأدلة النافية والمثبتة لاحتواء مصنفاتهم على الجميع، لكن التوجيه يكون على نحو ما قال ابن القيم: "فيفرش للكافر لوحان من نار، فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور، فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه، وغيبه عن غيره إذ لو اطلع عليه العباد كلهم؛ لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»(١١٧)(١١٨).

٨- وقفت على قصة يرويها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على قراءة النونية لابن القيم رحمه الله، قال الشيخ رحمه الله: "حدثني بعض الناس أنهم كانوا في هذا البلد في عنيزة يحفرون للسور سور البلد، وأنهم مروا على قبر فلما انفتح القبر خرج منه رائحة مسك لا يوجد لها نظير. سبحان الله!!ووجدوا شيخا لم تأكله الأرض، قد خضب لحيته بالحنى، وكان يابسا كاللحم اليابس... أما كفته فقد صار رماداً.. فانبهروا وتوقفوا وجاؤوا إلى الشيخ وأظنه عبد الله بن عبد الرحمن بالبطين رحمه الله؛ لأنه كان قاضيا في البلد هذا.. جاؤوا إليه يخبرونه.. فقال لهم ردُّوا القبر على ما هو عليه وانحرفوا في السور يمينا أو شمالا.. ففعلوا... والله أعلم"(١١٩)

٩- وإن كتب التأريخ والسير مليئة بذكر أخبار من اطلع على أحوال الموتى مما لا يتسع المقام لذكره.

مسألة مهمة

وهنا مسألة مهمة ترد على قضية الإطلاع على أحوال الموتى وهي ضرورة التثبت عند سماع خطاب أو رؤية شخص عند القبور من الأموات أن لا يكون من الجن أو الشياطين، وإليك صورة المسألة كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين. مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه؛ وهذا يُرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذبا في ذلك. وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره؛ وهي كثيرة جداً، والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه، أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما، والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان ويتبين ذلك بأمور: أحدها: أن يقرأ آية الكرسي بصدق فإذا قرأها تغيب ذلك الشخص أو ساخ في الأرض أو احتجب....

ومنها أن يستعيذ بالله من الشياطين.

ومنها أن يستعيذ بالعوذ الشرعية...

ومنها أن يدعو الرائي بذلك ربه تبارك وتعالى ليبين له الحال...

ومنها أن يقول لذلك الشخص: أأنت فلان؟ ويقسم عليه بالأقسام المعظمة ويقرأ عليه قوارع القرآن إلى غير ذلك من الأسباب التي تضر الشياطين"(١٢٠).

ملحــق

إن المطلع على الفتاوى وما يدور في أوساط الناس في هذا العصر، يجد الكثير من الأخبار التي تحكي عن عالم الغيب وبخاصة عالم الأموات الذي له تعلق بهذه النازلة؛ وإنه مما يستأنس به خبر انتشر بين الناس وكثر حوله الجدال، وهو خبر التسجيل الذي قام به فريق عمل من الشيوعيين الروس في صحراء سيبيريا، وكان فيه صوت صراخ لرجال ونساء. ولقد كان لأهل العلم قولاً فاصلاً في هذه القضية(١٢١)، وأثرت أن أذكر فتوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله، لأنه أخرجها ضمن كتاب له بعنوان الإجابات المهمة في المشاكل الملمة. وإليك نص الفتوى:

السؤال:

"انتشر شريط بين الناس وهذا الشريط يزعم قائله أن الروس وضعوا أجهزة تحت الأرض وسمعوا بعض أصوات البشر من الرجال والنساء؛ وعلق على هذا الشريط الشيخ الزنداني يقول نعم هذا صحيح. فماذا ترون في هذا الأمر؟ هل ينكر على من يوزعه؟ أفتونا مأجورين؟

الجواب:

أرى أن الشريط يتلف ولا يوزع، لأن فيه متجاوزات:

أولاً: أن عذاب القبر (من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله)، فالتعذيب في القبر أو النعيم هذا من علم الغيب من أمور الآخرة لم يطلع عليها إلا الرسول ﷺ فإن الله يطلعه على شيءٍ من الغيب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾(١٢٢).

ثانيا: هذا فيه ترويع للناس ربما يصاب بعض الناس بعقله إذا سمع هذا الشريط ففيه ترويع وتخويف والنبي ﷺ يقول: «لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»[١٢٣]. الرسول ترك هذا خوفاً عليهم من الترويع.

عذاب القبر تواترت الأدلة فيه، فنحن نعتمد على الأدلة ولا نعتمد على أقوال الكفار الروس أو غيرهم، ونؤمن بعذاب القبر.

أما الذي ما يؤمن إلا إذا سمع كلام الروس فهذا ليس عنده إيمان، نحن نؤمن بعذاب القبر ونتيقنه ونثبته ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان به.

ثالثاً: هو يزعم أن الروس وصلوا الطبقة السابعة من الأرض، لأن الأرض سبع طباق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[١٢٤]. فطباق الأرض مثل طباق السماء هل احد يخترق طباق السماء؟! فكيف يخترق طباق الأرض؟.

رابعاً: ما لذي يدريك أن هذه الأصوات أهل القبور ولا تكون أصوات غيرهم بأن يكون جاء عند ناس يصارخون ويتكلمون وسجلهم في شريط لأجل التمويه من الذي يأمنهم؟ فعلينا أن نحذر من هذه الأمور وهذه الترويجات"[١٢٥].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد..

فإنه بعد الانتهاء من هذه النازلة نخلص بالآتي:

١. أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ.

٢. أن عذاب القبر هو نتيجة لفتنة القبر. وفتنة القبر هي سؤال الملكين.

٣. أن الحياة البرزخية تعد من الغيب المحض لتوقف العلم بها على الوحي

٤. إن من أعظم الجنايات على العقل إقحامه فيما ليس له، ومن ذلك إقحامه في معرفة الأمور الغيبية.

٥. أن الإيمان بالغيب هو أكبر حقيقة يعيشها الإنسان ويموت عليها.

٦. أن مجرد الإقرار الذهني في الإيمان بالغيب لا يكفي، بل لابد من إيمان الجوارح وإيمان القلوب.

٧. أن الدلالة عن الغيب المعقول لا يمكن أن تتحقق بحدس عقلي مباشر، بل لابد من مستند يكون واسطة بين الحكم بالضرورة العقلية والغيب المعقول.

٨. أن العلم الحديث لا يمكن أن يقوم على مجرد ملاحظة الظواهر المحسوسة، بل لابد أولاً وأخيراً من التسليم بحقائق غيبية تكتشف بدلالة العقل عليها وفق مبدأ السببية وقانون الاطراد.

٩. إكرام الإسلام وعنايته بالإنسان في حياته وبعد مماته بدفنه.

١٠. قد يطلع الله عز وجل من شاء من عباده على بعض الأمور الغيبية، كالإطلاع على أحوال بعض الموتى.

١١. من حديث البراء الطويل نستفيد أن التقليد لا يكفي في بـاب الاعتقـاد، لمعاقبـة من قال: كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فقلته.

١٢. التأكيد على ضرورة تعليم الثلاثة أصول، لأنها هي أسئلة امتحان القبر.

١٣. الحرص والتثبت أثناء نقل الروايات التي تخـبر عـن إطـلاع بعـض مـن أراد الله سبحانه وتعالى من العباد على أحوال بعض الأموات.

١٤. الإكثار من ذكر الموت لما فيه من الحث على العمل وإزالة ما قد يعلـوا النفـوس من قسوة وركون إلى الدنيا.

١٥. إن في رواية إخراج شهداء أحد رضي الله عنهم رطاباً ينثنون وكأنهم رجال نوم وفي رواية الجدار الذي سقط فظهرت قدم عمر رضي الله عنه، نور يضيء طريق السالكين، ويوقف مسير المقصرين، وينبه عقول الغافلين إلى ضرورة الاسـتعداد ليوم الرحيل، وسؤال الله عز وجل أن يجعل القبور بعد هذه الدور خير منازلنا.

هذا والله أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والتعليقات:

(١) البقرة: آية: ١-٢.

(٢) وسيأتي انقسام الغيب إلى غيب معقول وغيب محض.

(٣) قال شارح الطحاوية: "فالحاصل أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار". ص٥٨٠.

(٤) الفرقان: من الآية ٥٣.

(٥) أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١/ ١٨، مختار الصحاح: ٥٥.

(٦) المؤمنون: من الآية١٠٠.

(٧) أهوال القبور: ص٣٠.

(٨) انظر: الروح ص ٢٦٧، مع تصرف يسير.

(٩) انظر: لسان العرب مادة (ق ب ر)، ٥/ ١٨٨.

(١٠) هو شيخ العربية أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السِّكِّيت البغدادي النحوي المؤدب ولد في ١٨٦هـ. و هو إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد ومن كتبه إصلاح المنطق وغريب القرآن. قتل في ٢٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٦)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٩٥).

(١١) سورة عبس: آية ٢١

(١٢) مختار الصحاح: ص ٤٥١، وانظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٩٠.

(١٣) المائدة: من الآية٣١

(١٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٦٤، تيسير الكريم الرحمن لأبن سعدي ص٢٢٩.

(١٥) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي٥/ ٢٨١، المحلى لابن حزم ٥/ ١١٧، شرح منتهى الإرادات للبهوتي ١/ ٣٤٨

(١٦) شرح الصدور (١٤٤).

(١٧) أخرجه أحمد في مسنده: ح٢٤٢٨٣ و ح٢٤٦٦٣، قال الأرنؤوط حديث صحيح، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة: ح١٤١٢، ٢/ ٥٩٤، والبيهقي في عذاب القبر: ح١١٩، وفي شعب الإيمان ح٣٩٦، ١/ ٣٥٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عم عائشة، وكل الطريقين رجالهما رجال الصحيح ٣/ ٤٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٢١٨٠، ١/ ٤٣٥، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح١٦٩٥ ٤/ ٢٦٨.

(١٨) لقاءت الباب المفتوح: ١٧/ ٣٤. وانظر السير للذهبي: ١/ ٢٩٠-٢٩١.

(١٩) انظر لسان العرب: مادة (ف ت ن)، ٥/ ٨٩.

(٢٠) طه: من الآية ١٣١. انظر: تفسير بن سعدي ص٥١٧.

(٢١) انظر لسان العرب: مادة (ف ت ن)، ٥/ ٩٠.

(٢٢) البروج: آية ١٠.

(٢٣) هي الأسئلة التي تدرس في متن الثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولهذا كان علماء المملكة العربية السعودية حرسها الله يعلِّمون العوام قبل طلاب العلم، والصغار قبل الكبار هذه الثلاثة أصول، حيث كانت يومياً تدرَّس في المساجد بعد صلاة الفجر، انظر: شرح الثلاثة أصول للشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

(٢٤) إبراهيم: آية ٢٧.

(٢٥) أخرجه البخاري ح٤٦٩٩، (كتاب التفسير/ باب﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾).

(٢٦) انظر الروايات: في صحيح البخاري: ح١٣٧٧ (كتاب الجنائز/ باب التعوذ من عذاب القبر)، وصحيح مسلم: ح١٣٢٤ (كتاب المساجد/ باب ما يستعاذ منه في الصلاة).

(٢٧) انظر: شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، الباب الرابع: في ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ، الأبيات ١٠٣، ١٠٤.

(٢٨) انظر: الحاوي في الفتاوي لجلال الدين السيوطي ٢/ ٣١٣.

(٢٩) انظر: شرح العقيدة السفارينية الإحالة السابقة، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٢٦٩.

(٣٠) أخرجه ابن ماجه: ح ٤٢٦٧، (كتاب الزهد/ باب ذكر القبر والبلى)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه: حسن.

(٣١) سورة إبراهيم من الآية: (٢٧).

(٣٢) أخرجه أبو داود: ح٤٧٥٣ (كتاب السنة/ باب المسألة في القبر)، والنسائي: ح٢٠٥٨ (كتاب الجنائز/ باب تسوية القبور، إذا رفعت)، بلفظ مختصر، وابن ماجة: ح٤٢٦٩ (كتاب الزهد/ باب ذكر القبر والبلى)، بلفظ مختصر، وأحمد في المسند: ح١٨٧٣٣، ١٨٧٣٤، ١٨٧٣٥، ١٨٨١٥، ١٨٨١٦، ١٨٨٢٨ (مسند الكوفيين/ حديث البراء بن عازب)، والطيالسي: ح٧٥٣، والآجري في الشريعة: ح٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦ (باب ذكر الإيمان والتصديق بمساءلة منكر ونكير) ٣/ ١٢٩٤-١٢٩٩، وأبن أبي شيبة: ٣/ ٣٨٠-٣٨٢، عبد الرزاق: ح٦٧٣٧، والحاكم: ١/ ٣٧-٤٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي ووافقهما الألباني. انظر أحكام الجنائز ص١٥٦-١٥٩، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين ١/ ٢٤١.

(٣٣) أخرجه البخاري: ح١٣٧٤ (كتاب الجنائز/ باب ما جاء في عذاب القبر)، وعند مسلم: ح٧٢١٦ (كتاب الحنة ونعيمها/ باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، واثبات عذاب القبر والتعوذ منه)

(٣٤) أخرجه الترمذي: ح١٠٧١ (كتاب الجنائز/ باب ما جاء في عذاب القبر) وقال: حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة: ح٨٦٤ ص٤٠٨، والآجري في الشريعة: ح٨٥٨ (باب ذكر الإيمان والتصديق بمساءلة منكر ونكير) ٣/ ١٢٨٨، وابن حبان في صحيحه: ح٧٧٩ ص١٧٩، وقال الألباني رحمه الله في ظلال الجنة: إسناده حسن، انظر السلسلة الصحيحة: ح١٣٩١.

(٣٥) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: ص ٧٣٢.

(٣٦) انظر: كتاب الروح ص ٢٣٨.

(٣٧) قال ابن حزم: "وأن من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ لأن الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً، هذا باطل، وخلاف القرآن، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء" الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/ ١١٨، والآيات التي استدل بها قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾(غافر: من الآية١١)، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾(البقرة: من الآية٢٨)

(٣٨) انظر: كتاب الروح ص ٢٠٩-٢١٢، فتح الباري ٣/ ٢٨٤.

(٣٩) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ص٢٧٣.

(٤٠) انظر: كتاب الروح ص٢٦٧-٢٦٨.

(٤١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٧٨) لصدر الدين ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي المتوفى (٧٩٢هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي مؤسسة الرسالة- بيروت الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٤٢) انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٢-٢٩٩.

(٤٣) الأدلة على ذلك كثيرة، منها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل الذي تقدم ذكره.

(٤٤) التوبة: آية ١٠١.

(٤٥) انظر: الأقوال المذكورة وغيرها في تفسير البغوي ٤/ ٨٩، وابن كثير ٤/ ١٧٠١.

(٤٦) غافر: من الآية ٤٥-٤٦.

(٤٧) تفسير الطبري ٢٤/ ٧٢.

(٤٨) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٠٨٠.

(٤٩) الإمام المحدث، الحافظ العلامة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الشافعي. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ه، وانتقل مع أخ له إلى دمشق، ورحل في طلب العلم. له تصانيف كثيرة وشهيرة منها طبقات الشافعيين والبداية والنهاية

وتفسير القرآن توفي سنة ٧٧٤ه. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٨٥-٨٦)، الدرر الكامنة (١/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٥٠) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٣٠٧٩. وفي تفسير الآية تفصيل ثمين أعرضت عنه خشية الإطالة.

(٥١) سورة المطففين آية (٧، ١٨).

(٥٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٥، ٣٤٨).

(٥٣) متفق عليه أخرج البخاري: ح (٤٤٣٦) كتاب المغازي / باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ومسلم: ح(٦٢٩٧) كتاب فضائل الصحابة / باب في فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٥٤) كتاب الروح: ص ٣٣٥.

(٥٥) كتاب الروح: ص ٢٤٩-٢٥٠، بتصرف يسير.

(٥٦) انظر: شرح الطحاوية لابن جبرين (٦٢/ ٢٧).

(٥٧) انظر: شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح (١٢/ ١٧)، شرح الطحاوية للراجحي ص(٣٠٣).

(٥٨) كتاب الروح ص(٦٣).

(٥٩) شرح الطحاوية للراجحي ص(٣٠٣).

(٦٠) ج (٤٤٠٥)، كتاب المغازي/ باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ آل عمران: من آية ١٢٢.

(٦١) انظر: الروح (٧٣)لشمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى(٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٦٢) يونس: أية٣٩.

(٦٣) الروح (٧١).

(٦٤) انظر: كتاب الروح: ص٢٤٥-٢٧٠، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ص٢٧٧-٢٨٢، شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد العزيز الراجحي: من قول المصنف: "وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً... "١/ ٣٠١-٣٠٦، نقلاً من موقع الشيخ.

(٦٥) مجموع فتاوى الشيخ بن عثيمين رحمه الله ك ٢/ ٣٢.

(٦٦) انظر: درء التعارض ٥/ ١٧٢.

(٦٧) البقرة: من الآية٣.

(٦٨) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٨٤.

(٦٩) انظر: معاني القرآن شرحه وإعرابه (١/ ٧٢) لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وله كتاب "الاشتقاق"، وكتاب "فعلت وأفعلت"، ومصنفات، منها: كتاب "الأنواء". توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة. وقد روي أن وفاته تقدمت قبل السنة التي ذكرناها. تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ص: (٣٨)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٩٤-٢٠١).

(٧٠) قال زهير بن أبي سلمة: فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

(٧١) قال ابن عثيمين رحمه الله في معرض ذكره الحكمة من إخفاء عذاب القبر عن البشر "والإنسان المؤمن حقيقة هو الذي يجزم بخبر الله أكثر مما يجزم بما شاهده بعينه؛ لأن خبر الله عز وجل لا يتطرق إليه احتمال الوهم ولا الكذب، وما تراه بعينيك يمكن أن تتوهم فيه، فكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال وإذا هي شعرة بيضاء على حاجبه..." مجموع فتوى الشيخ بن عثيمين ٢/ ٣٢.

(٧٢) انظر: المعرفة ص ٤٨٧.

(٧٣) انظر: شرح الطحاوية للحوالي ص(١٨٠٣).

(٧٤) سبق ذكر شبه المنكرين لعذاب القبر والرد عليها.

(٧٥) من المعاصرين الذين أنكروا عذاب القبر د/ مصطفى محمود وذلك في برنامج أذيع في الرائي المصري. وقد وقفت على رد الشيخ عبد الكريم الحميد عليه في مسألة الشفاعة، ولم أقف على رد لأحد العلماء في هذه المسألة إلا فتوى د/ عبد الله الفقيه رقم: ٢١١٢وتاريخ ١٤/ ٢/ ١٤٢٠هـ، في موقع الشبكة الإسلامية إسلام ويب/ فتاوى الشبكة الإسلامية

(٧٦) البقرة: أية٥٥.

(٧٧) الذي هو عندهم ما جاء عن الرب يسوع وما جاء في الأناجيل عن اليوم الآخر والمعجزات وأخبار كل ذلك؛ يجب عدم الإيمان به لأن العقل والعلم ينفيه كما يزعمون. وهذا المذهب العلماني العقلاني المادي إنما هو ردة فعل لطغيان رجال الدين في الغرب النصراني، مما حدا بهم إلى عزل الكنيسة عن جميع شئون الحياة وتمجيد العقل. انظر: كواشف وزيوف ص٤٢-٦١.

(٧٨) الروم: آية ٧.

(٧٩) المعرفة في الإسلام: ص٤٨٨.

(٨٠) انظر: شرح الطحاوية للحوالي ص(٨١٦-٨١٧).

(٨١) المعرفة في الإسلام: ص٤٨٨.

(٨٢) هذا المبحث مستفاد من: موقع الشيخ الفاضل د/ سفر الحوالي حفظه الله [شرح العقيدة الطحاوية (مذهب أهل السنة في المغيبات، لا تعارض بين صريح المنقول وصريح المعقول)، محاضرات عامة (قاعدة في أمور الغيب، كيف يكون الإيمان بعذاب القبر، الإيمان بالغيب)]، المعرفة في الإسلام: ص ٤٨٥-٥٠٤.

(٨٣) درء التعارض: ١/ ١٧٧.

(٨٤) أخرجه البخاري: ح (١٣٨٠) (كتاب الجنائز/ باب: كلام الميت على الجنازة)و ح(١٣١٤) (باب: حمل الرجال الجنازة دون النساء) و ح(١٣١٦) (باب: قول الميت وهو على الجنازة قدموني).

(٨٥) فتح الباري: ٣/ ٢٢١.

(٨٦) المرجع السابق: ٣/ ٢٨٣

(٨٧) أخرجه البخاري: ح(١٣٧٤) (كتاب الجنائز/ باب: ما جاء في عذاب القبر) و ح(١٣٣٨) (باب: الميت يسمع خفق النعال).

(٨٨) فتح الباري: ٣/ ٢٨٣.

(٨٩) أخرجه مسلم: ح(٧٢١٣) و ح(٧٢١٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه).

(٩٠) كتاب الروح لابن القيم: ص ٢٦٢، وانظر: التذكرة ١/ ٤٠٨.

(٩١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥/ ٤٣٥-٤٣٦.

(٩٢) المصدر السابق. وهذه الرواية لاتعادل شهرة رواية «لولا أن لاتدافنوا» وفي بعض المصادر يسقط حرف النفي فيحصل اللبس والتحرير أن نقول: إن الشيخين لم يذكراها قطعاً وهي عند أحمد وربما تكون عند غيره والله أعلم.

(٩٣) أخرجه البخاري: ح(٦٣٦٦) (كتاب الدعوات/ باب: التعوذ من عذاب القبر) ومسلم: ح(١٣٢١) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال ومن المأثم والمغرم بين التشهد والتسليم).

(٩٤) التذكرة: ١/ ٤٠٨

(٩٥) السلسلة الضعيفة للألباني الحديث رقم (١١٤٧).

(٩٦) ولقد تجاوزت النصوص الواردة في إطلاع الرسول ﷺ على عذاب البرزخ؛ لأنه ﷺ مؤيد بالمعجزات ومعصوم من الزلات.

(٩٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: باب كيف المشي مع الكبراء وأهل الفضل؟ ح(٨٥٣)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح الإسناد، والحديث أخرجه أحمد في المسند ح(١٢٥٥٨)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كإسناد المؤلف، وقال الهيثمي(٣/ ٥٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وفي رواية أخرى لأحمد بلفظ: «ألا تسمع؟أهل هذه القبور يعذبون؛يعني قبور الجاهلية»، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي أيضاً، لكن فيهم فليح وهو ابن سليمان الخزاعي المدني، وهو كثير الخطأ وإن كان من رجال الشيخين.

(٩٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور(٩٦)، وفي مجابي الدعوة(٤٨)، وابن الجوزي في البر والصلة(١٣٩)، وسندها جيد، قال الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب: ح(٢٥١٧): حسن موقوف، ورواه الأصبهاني وغيره وقال الأصبهاني: حدث أبو العباس الأصم إملاء بنيسابور بمشهد من الحفاظ فلم ينكروه.

(٩٩) الأسود: نوع من الحيات الخبيثة المميتة وهي عظيمة الحجم. أهوال القبور: ص ١٣١.

(١٠٠) رواه ابن أبي الدنيا في القبور: ١٢٨، والبيهقي في الشعب: ٤/ ٣٣٤، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٦/ ١٢١٦، وسند القصة حسن، وأورده ابن القيم في كتابه الروح: ص٢٦٠، والسيوطي في شرح الصدور: ص١٧٤، و الإسناد رجاله كلهم ثقات ومحال للصدق فالإسناد صحيح إلى ابن عباس، انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث (٤/ المنتدى الشرعي العام - من غرائب جزء الحفار).

(١٠١) رواه ابن أبي الدنيا في القبور: ١٢٦، وابن عساكر في تاريخه: ٦٣/ ١٨١، والذهبي في السير: ٤/ ٥٠٤، وابن القيم في الروح: ص٢٦٠، والسيوطي في شرح الصدور: ص١٧٣.

(١٠٢) الأثر أخرجه البخاري في التاريخ الكبير: ٥/ ١٣٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٠/ ٤٠٨ و ٣٩/ ٢٢٠-٢٢٢، وعزاه السيوطي في شرح الصدور: ٢٢١ لابن منده. وذكره ابن رجب في أهوال القبور: ص٤٩.

(١٠٣) رواه البخاري: ح(١٣٩٠) كتاب الجنائز/ باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(١٠٤) في من عاش بعد الموت: رقم(٤٣) ص٨٦-٨٧، وفي كتاب القبور بلفظ آخر: رقم ١٤٣، وذكره ابن رجب في أهوال القبور: ص٤٩-٥٠، والأثر صحيح الإسناد إلى العلاء بن عبدلكريم، أنظر: الصحيح المهذب لكتاب أهوال القبور: ص٦٣.

(١٠٥) أخرجه ابن رجب في أهوال القبور: ص ١٣٩، قال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة: ح (٢٩٢٦) ٦ / ١٠٢٩: أخرجه أحمد في "الزهد" (١٦ - ١٧) و ابن أبي شيبة في "المصنف" (٩ / ٦٢) دون القصة، و كذا البزار في "مسنده" (١ / ١٠٨ / ١٩٢ - كشف الأستار) عن الربيع ابن سعد الجعفي سمعه من عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:.. فذكره. قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات على خلاف في سماع ابن سابط من جابر، فقد سئل ابن معين: سمع عبد الرحمن بن سابط من جابر؟ فقال: لا. لكن أثبت سماعه منه ابن أبي حاتم، فقال في "الجرح و التعديل" (٢ / ٢ / ٢٤٠): "روى عن عمر، مرسل، و عن جابر، متصل". وهذا خلاف ما حكاه في "المراسيل" (ص ٨٤)،

وهذا أرجح لما يأتي. و الحديث أخرجه عبد بن حميد في "المنتخب من المسند" (ق ١٥٢ / ١) بتمامه، و كذا وكيع في "الزهد" (١ / ٢٨٠ / ٥٦) و ابن أبي داود في "البعث" (٣٠ / ٥) و فيه تصريح ابن سابط بالتحديث، فصح الحديث و اتصل الإسناد و الحمد لله.

قوله: (خلاسي): أي أسمر اللون، يقال ولد خلاسي، ولد بين أبوين أبيض و أسود.

(١٠٦) مقدمة الفتح: ١/ ٥١٨.

(١٠٧) إثبات عذاب القبر: ص٧٦.

(١٠٨) مجموع الفتاوى: ٥/ ٥٢٦. وسيأتي رواية عن شهداء أحد.

(١٠٩) المرجع السابق: ٢٤/ ٣٧٦.

(١١٠) أخرجه مسلم: ح(٧٢١٣) و ح(٧٢١٤) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه).

(١١١) كتاب الروح: ص ٢٥٤-٢٥٥.

(١١٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٥٨٠.

(١١٣) أهوال القبور: ص ٤٩.

(١١٤) فتح الباري: ٣/ ٢٧٨.

(١١٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٣/ ٢٩١، وابن عبد البر في التمهيد ١٩/ ٢٤٢، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة: ١/ ٣٧٧، وابن كثير في البداية والنهاية: ٤/ ٤٤، وابن رجب في أهوال القبور: ص١٤٣.

(١١٦) أخرجه ابن المبارك في الجهاد: ٩٧و٩٨، وعبد الرزاق في مصنفه: ٦٦٥٦و٩٦٠٢، والبيهقي: ١١٧٨و١١٨١.

(١١٧) سبق تخريجه.

(١١٨) الروح: ص ٢٥٤-٢٥٥.

(١١٩) أرشيف ملتقى أهل الحديث: المنتدى الشرعي العام. قصة غريبة جداً يرويها الشيخ ابن عثيمين.

(١٢٠) مجموع الفتاوى: ١/ ١٦٨-١٧١، بتصرف.

(١٢١) مقال للشيخ سلمان بن فهد العودة في موقع الإسلام اليوم بعنوان: أصوات المعذبين بتاريخ ٢٢/ ٣/ ١٤٢٦هـ، الشيخ حامد العلي فتوى بعنوان: هل يمكن سماع عذاب القبر بتاريخ ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م، الشيخ خالد المصلح فتوى بعنوان: سماع صوت المعذبين في القبر في مجلة المجتمع (فتاوى المجتمع) بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٥م، الشيخ عبد الله الفقيه فتاوى الشبكة الإسلامية رقم ١٧٢٨٦ بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٤٢٣هـ، الشيخ عبد الرحمن السحيم فتوى بعنوان: ما يزعم أنه أصوات المعذبين في نار جهنم على موقعه، أرشيف ملتقى أهل الحديث المنتدى العام الشرعي بعنوان: ما رأي مشايخنا الكرام في هذا الصوت.

(١٢٢) الجن: الآية ٢٦-٢٧.

(١٢٣) سبق تخريجه.

(١٢٤) الطلاق: من الآية ١٢.

(١٢٥) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة: ٢/ ٤٤-٤٥.

ثبت المراجـع

١- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان - عمان الأردن، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ.

٢- الإجابات المهمة في المشاكل المدلهمة للشيخ الدكتور صالح الفوزان، جمع محمد فهد الحصين فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٣- أحكام القرآن للقاضي بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤- صحيح الأدب المفرد للبخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦- أهوال القبور، ابن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: عاطف صابر شاهين، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧- البداية والنهاية، ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨- البر والصلة لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم: عادل عبد الموجود، علي معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩- التاريخ الكبير، للبخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

١٠- تاريخ دمشق، ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١١- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة د: الصادق بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ.

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧هـ.

١٦- الجهاد لابن المبارك (المتوفى: ١٨١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. نزيه حماد، الدار التونسية - تونس١٩٧٢م.

١٧- الجهاد لابن المبارك (المتوفى: ١٨١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. نزيه حماد، الدار التونسية – تونس١٩٧٢م.

١٨- الحاوي للفتاوى، للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٩- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٠- دلائل النبوة، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى (لمكتبة المعارف).

٢٢- سنن ابن ماجه (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٣- سنن أبي داود (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٤- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٢٧- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٨- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار.

٢٩- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٠- المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، للنووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.

٣١- دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، لمنصور البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٢- الشريعة، للآجُرِّيُّ (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن- الرياض/ السعودية الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٤- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، للألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزْيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥- الصحيح المهذب لكتاب أهوال القبور. أبي الحسن الرازحي.

٣٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام - بيروت.

٣٧- صفة الصفوة، ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٣٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة.

٤٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين الحدادي ثم المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦م.

٤١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢- كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، لا بن أبي عاصم (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٤- كواشف زيوف للشيخ حبنكة الميداني (المتوفى ١٤٢٥هـ)، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤٥- لسان العرب، لابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.

٤٦- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٧- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الأخيرة - ١٤١٣هـ.

٤٨- المحلى بالآثار، لابن حزم (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الفكر - بيروت.

٤٩- مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥١- المصنف، عبد الرزاق الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٥٢- المعرفة في الإسلام. الشيخ عبد الله القرني.

٥٣- موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا. تحقيق فاضل الرقي، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٥٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

مواقع على الشبكة العنكبوتية:

١- أرشيف ملتقى أهل الحديث

٢- منتدى أبحاث فتاوى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الحوالي.

٤- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عبد العزيز الراجحي.

٥- موقع الشبكة الإسلامية.